رأي القدس

حماس تعود الى ثوابتها

■ تعكس تصريحات السيد محمود الزهار وزير خارجية حكومة «حماس» الفلسطينية التي ادلى بها في مهرجان شعبي كبير شاركت فيه عشرات الالاف من الفلسطينيين بمناسبة يوم القدس في مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، تصعيدا مقصودا من قبل الحركة في وقت تتصاعد الضغوط عليها للاعتراف بالدولة العبرية والتخلي عن المقاومة، والقبول باتفاقات اوسلو.

فالسيد الزهار كرر في خطابه الجماهيري المذكور العبارات نفسها التي قالها السيد احمدي نجاد رئيس ايران وطالب فيها باستئصال اسرائيل من المنطقة، باعتبارها كيانا دخيلا، وقال «اسرائيل هي جسم خبيث في ارضنا لن نعترف بها، وستذهب في يوم من الايام مثلما ذهب الفرس والصليبيون والبريطانيون، جسم ليست له شرعية لا تاريخية ولا دينية ولا ثقافية ولا حضارية»

ولا بد ان السيد الزهار يدرك خطورة هذه الاقوال، مثلما يدرك وقعها ليس فقط على الحكومة الاسرائيلية وانما على اطراف عربية، تحاول تسويق السلام والتطبيع معها مثل الحكومة المصرية، ولذلك فان السؤال المطروح هو حول اسباب هذا التصعيد والاهداف التي يتطلع الى تحققها من ورائه.

هناك عدة تفسيرات للاجابة على هذا السؤال نلخصها في النقاط التالية:

● تقوم الحكومة المصرية حاليا بجهود وساطة بين حركة «حماس» والرئيس محمود عباس (ابو مازن) لتذليل العقبات امام قيام حكومة وحدة وطنية فلسطينية، واقناع حماس بالقبول بالشروط الامريكية والاسرائيلية للاعتراف بهذه الحكومة في حال تشكيلها، وهي التخلي عن المقاومة والقبول بمبادرة السلام العربية التي تعني اعترافا ضمنيا باسرائيل، والمصادقة على جميع الاتفاقات الموقعة بين منظمة التحرير واسرائيل وخاصة اتفاقات اوسلو. ولعل الزهار بمثل هذا التصعيد يريد قطع الطريق على هذه الوساطة، والاجهاز على اي فرص لنجاحها.

● من غير المستبعد ان يكون السيد الزهار، وحركة «حماس» بشكل عام، قد ادركوا جميعا ان السيد محمود عباس رئيس السلطة بات عاقد العزم على حل حكومة «حماس» هذه، وتشكيل حكومة تكنوقراط، والدعوة الى انتخابات عامة، او استفتاء شعبي للحصول على تفويض مباشر من الشعب الفلسطيني يلغي عمليا نتائج الانتخابات التي حصلت فيها حماس على اغلبية المجلس التشريعي.

● من اللافت ان تصريحات السيد الزهار الخطيرة هذه جاءت بعد زيارة السيد سعيد صيام وزير الداخلية واحد قادة حماس لكل من طهران ودمشق، واهماله بالكامل من قبل المسؤولين المصريين الذين مر ببلادهم اثناء مغادرته وعودته لقطاع غزة. فربما تكون حركة «حماس» قررت تبني الخط الايراني المتشدد الذي هو خطها بالاساس، واغلاق كل الابواب امام مطالبات المرونة من قبل الدول العربية.

ما من شك في ان اقوال السيد الزهار النارية هذه تجد صدى في اوساط الجائعين المحاصرين المهددين بالاجتياح في قطاع غزة، ولم يكن من قبيل الصدفة ان يختار تجمعا شعبيا في مدينة خان يونس اكبر مستودع للاجئين والتطرف في قطاع غزة للادلاء بها، فالرجل يدرك ان رأس الحركة التي يمثلها بات مطلوبا في الايام القليلة المقبلة، وان عليه ان يبدأ في التحريض والحشد، التحريض ضد رئيس السلطة الذي يريد شطب حركته والديمقراطية التي اوصلتها الى السلطة، والحشد لمواجهة اي اجتياح اسرائيلي جديد لقطاع غزة لانهاء وجودها، اي حركة «حماس» والافراج عن الجندي الاسرائيلي الاسير.

الايام الفلسطينية المقبلة ستنطوي على العديد من المفاجآت، وتصريحات الزهار هذه التي اكد فيها على تحرير فلسطين كل فلسطين من البحر الى النهر، ومن الناقورة حتى رفح هي اولها.

بعض مسببات كمون الحركة المصرية من أجل التغيير «كفاية»

إشكالية الإدارة والتمويل أعاقت الحركة وحدّت من تأثيرها

محمد عبد الحكم دياب *

■ يبدو أن الحركة المصرية من أجل التغيير «كفاية» تمر بمنعطف يحتاج التعرف على فيما أصابت وأين أخطأت، وبداية نقول انه من الطبيعي أن تمر الحركات الوطنية والشعبية بمنعطفات، وتتعرض لأزمات، وغير الطبيعي هو الاستسلام لها، وعدم تصحيح مسارها ومسيرتها، ولأن حركة «كفاية» بدأت بالتوجه إلى المواطن مباشرة فمن المتوقع ألا يتخلى عنها المواطن، وحقه عليها أن تضعه في الصورة عما يجري، أولا بأول، ليكون على بينة من أمرها وأمره. ومن موقع الانتماء الوطني أجد أن لـ«كفاية» حق علينا جميعا، يفرض العمل بكل الطاقة لإعادتها إلى دورها وتأثيرها. فهي بنت الشعب، وتمثل أمله، ما دامت تحافظ على سلامة مواقفها وتوجهاتها.

والكل يعرف أن «كفاية» هي في الأصل حركة جامعة لتيارات وطنية وإسلامية عديدة.. بها إسلاميون وقوميون ويساريون وليبراليون (وطنيون ومستقلون.. ومعروف عنها أنها خرجت من رحم الشارع، وليس بقرار أو موافقة من نظام الحكم، وأنها أحدثت هزة كانت مطلوبة، وقادت حراكا سياسيا جاء في وقته. وظهور كتل وأجنحة بين الجماعات التلقائية والمنظمة، أمر طبيعي، ومن مستلزمات الخصوبة، إذا ما كان الأمر معتمدا على العمل الجماعي والحوار الديمقراطي، وقد يصبح من دواعي العقم إذا ما كان في اتجاه معاكس.

ومهما كان الذي حدث، وما زال، فإنه لا ينسينا القيمة التاريخية والوطنية لـ«كفاية» ولا يجعلنا نتجاهل أثر ما قامت به على مجمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وكان كاتب هذه السطور قد أشار في ورقة قدمها إلى ورشة عمل، عقدت في لندن، بتاريخ 15/ 7/ 05 إلى بعض هذا الأثر، بكسر حاجز الخوف من بطش حكم حسني مبارك ووحشيته. ومع الاعتراف بدورها في استدعاء الطبقة الوسطى، التي كانت قد أوشكت على الغياب الكامل، وإعادتها إلى مركز الفعل الوطني والسياسي، فوسعت بذلك من مساحة الحضور السياسي للمواطنين، وأصبحت مظاهراتها واحتجاجاتها محفزا لجماعات وتيارات كانت قد اطمأنت لسيطرتها وتأثيرها في الشارع، وبعد أن انتزعت الحق المشروع في التظاهر، خارج نطاق وضوابط الحكم وقيود الطوارئ وتعسف أجهزة الأمن.. وبدت مستعدة للتضحية ودفع الثمن تعلق بها الناس، وفتحت بذلك بابا أمام حراك آخر في مستويات عدة.. بين الشباب والمحامين والصحافيين والقضاة والمهندسين، وكان المهتمون يتطلعون إلى أن يمتد تأثيرها ودورها إلى أوساط الفلاحين والعمال والطلاب. وإن ما أنجزته في مدتها القصيرة هو الذي أعطاها هذه القيمة التاريخية والوطنية.

هذه الحركة الجامعة معرضة لكثير من الشد والجذب، بحكم اختلاف المصالح وتباين الأهداف، ولهذا فإن التطرق إلى ما يذاع وينشر، بالحق أو الباطل، يساعد في التعرف على حجم ما جرى وطبيعته، ولنعرض بعض عيناته: هناك من يدعي وجود سعي لحصر «كفاية» في الإطار النخبوي الضيق، وليس في النطاق الشعبي الرحب.. وادعاء آخر، بأن أصحاب هذا المسعى يريدون خنقها والقضاء عليها، بجانب قول بأن بعض أصحاب النفوذ فيها يريدونها فلكلورية، تثير الشفقة أكثر مما تثير الاحترام، والمعنى هنا يبدو في بطن الشاعر. وتسمع من يردد أن بعضا من قادتها يقيم منها جسرا للظهور الإعلامي، تعويضا عن غياب خبرة التواصل مع الجموع العادية والبسيطة. وغيرهم يعرضها لعدوى أمراض الأحزاب السياسية الشكلية القائمة، ولا يجب أن نتوقف كثيرا للتدقيق في صحة هذه الادعاءات من عدمها، لأن الأهم هو أن تنظر «كفاية» إلى داخلها، وتدقق فيما قامت به، وتتعرف على حدود الخلاف، وتحصره في نطاقه الطبيعي، خاصة إذا ما عرفنا أن الخلاف حالة إنسانية وطبيعة بشرية، تمثل أساس «الدفع الاجتماعي»، وفي حدود معينة يكون ذلك أساسا لكل ما هو إيجابي، وإذا تم تجاوز هذه الحدود أضحى طريقا للانقسام والفرقة.

وفي حدود المعلومات التي توفرت من مصادر موثوقة، هناك اعتراف من أطراف داخل كفاية بأن الموقف بدأ يحمل طابع الأزمة، وكانت بوادر ذلك واضحة في أحداث «الأربعاء الأسود»، 2005، إلا أنها طفت على السطح إثر تقديم مذكرة، من 22 نقطة، للمنسق العام، تنتقد أوضاع الحركة، وحدث أن تسربت المذكرة إلى جريدة «روز اليوسف»، لسان حال «الرئيس الموازي»، جمال مبارك، وذات الطابع الفاشي، المعادي للتوجهات الوطنية.. وترتب على تقديم المذكرة تبادل اتهامات من نوع تخريب الحركة والتشهير بها في صحف من هذا النوع، هذا في وقت تقدمت فيه مجموعة «شباب من أجل التغيير» بمذكرة أخرى تشرح فيها أسباب انفصالها عن الحركة الأم، وتشكلت لجنة لتقصي الحقائق ودراسة الوضع والبحث في طرق العلاج، ولم تخرج توصياتها عن توصيات المؤتمر العام الأول لـ«كفاية» الذي عقد من عدة شهور، واستمر الوضع متوترا عندما قام عدد من قادة «كفاية» بتوجيه دعوة إلى حفل إفطار فاخر، دون الرجوع إلى الجهة المعنية، وهي لجنة التنسيق، ومجموعة العمل اليومي، وهو حفل بثته «الجزيرة مباشر»، وكان من بين ما أثاره هذا الحفل هو اقتصاره على شخصيات سياسية وعامة وثقافية، ورأى المنتقدون للحفل أن الواجب كان يقتضي أن يكون الإفطار في منطقة شعبية، وبين مواطنين بسطاء، هم هدف «كفاية» وجمهورها، الذي تسعى إلى تحريره من استبداد وفساد وتبعية نظام حسني مبارك وولده وعائلته ومواليه.

حالة الشد والجذب التي تشهدها «كفاية» نشأت بفعل تراكمات حدثت على مدى العامين الماضيين، وأغلبها بسبب غياب العمل المؤسسي في إدارة العمل اليومي، مما وضع بعض قادتها فوق لجنة التنسيق، هذا بجانب أسباب أخرى خلقت قدرا من سوء الفهم، وتتعلق بالتمويل والصرف على الأنشطة، وكذلك أثر توظيف بعض العاطلين من شباب «كفاية» مما قوى علاقته بـ«أصحاب الفضل» وأضعفها مع لجنة التسيق، بعد إخفاق محاولات فصل التصرف في المال عن أشخاص المولين، وتغليب أعمال «العلاقات العامة» وتحقيق مكاسب لبعض الأعضاء، على النشاط الميداني ويرى البعض، أنه رغم توفر حسن النية، فإن نفوذ المول والمساهم خلق مرجعية أخرى «موازية»!! أضعفت المرجعية القائمة، فاختلطت أوراق الإدارة والمال، وبدا أن السخاء على أنشطة ليست لها أولوية، وأحيانا ليست ضرورية، ليس له ما يبرره، مما فجر، بدوره، عددا من الأسئلة منها: لماذا الصرف على نوع معين من الأنشطة ولماذا الإبقاء على الطابع الفردي لها؟ وما هو المقابل الذي يحصل عليه المول منها؟ وهذه الأسئلة تشير إلى أن الشكوى ليست عن مصادر التمويل، لأنها معروفة ومشروعة، بقدر ما هي في طرق الصرف وفرديتها. وعدم إخضاعها لضوابط ونظم، معمول بها في الحركات والتنظيمات الأخرى!! ويبدو أن الشد والجذب حول أسلوب الإدارة، وطرق التعامل مع المال، هو أساس الخلاف والمشاكل التي عاشتها «كفاية» في الشهور الأخيرة، وسبب ضعف الضوابط التنظيمية والإدارية، بشكل سمح بحضور مؤتمرات، خارج مصر، دون الرجوع للجنة التنسيق، وزاد من توتر الوضع وجود ممثلين للدولة الصهيونية في واحد من هذه المؤتمرات، التي عقدت بتركيا، من شهور، وهنا تأتي عقدة التعامل مع الطرف «الليبرالي» داخل «كفاية»، فبينه من يراهن على التدخل الخارجي، وبعضه يختزل العداء للعدو إلى مستوى الخلاف في وجهات النظر!! ومنه من يفضل الأجندة الغربية، إما إيمانا بها، أو خوفا من الإسلاميين والقوميين، حيث يسود بين هؤلاء قلق غير مبرر لأي تقارب بين القوميين والإسلاميين، وينظرون إليه كمقدمة لظهور «تشكيل فاشي» يمثل خطرا عليهم، وعلى الدولة ذاتها، من وجهة نظرهم، لهذا يرون أن الحكم الحالي أقرب إليهم من القوميين والإسلاميين. وعندما يتحدث جورج بوش عن الفاشية الإسلامية، فهو يعبر بصدق عن موقف كل «ليبرالي» العالم، ومنهم مصريون، ولنا هنا جملة اعتراضية لا بد أن نضعها أمام القارئ تتعلق بالفروق بين «ليبراليتين»، إحداهما شاملة، تمثل الأيديولوجية الغربية، بما فيها بعدها الصهيوني، وتعبر عنها الإدارة الأمريكية ورئاسة الوزراء البريطانية، وقادة الدولة الصهيونية، ويمثلها في مصر جمال مبارك ومجموعة أمانة السياسات. والثانية وطنية، وقد لا تكون موجودة إلا في بلاد محدودة مثل الهند وماليزيا، ويعبر عنها، في مصر، حزب الوفد، بوجهيه القديم والجديد، وحزب الغد (جناح أيمن نور)، وعدد من المستقلين داخل «كفاية»، وإن صح هذا التحليل فإن ذلك يعني أن بعض رياح «الليبرالية» السامة هبت على «كفاية»، بشكل سمح بالاتصال بالحزب الحاكم وأمانة سياساته، وبشخصية مثل هالة مصطفى صاحبة العلاقة الوطيدة بالإدارة الأمريكية!!

هذا الجو أحدث حالة استقطاب داخل «كفاية» بين تيارين.. الأول: تيار غالب يرى في التوجه إلى المواطن مباشرة طريقا لا طريق سواه، وتيار آخر يتجه إلى العمل النخبوي ويعتمد أساليب «العلاقات العامة»، وبه بعض السلوك الانعزالي، وطبيعي أن ينشأ بين التيارين تعارض أو فجوة تتسع إذا ما ضعف العمل المؤسسي والجماعي والديمقراطي، وقد يختلف هذا مع ما تقول به ندى القصاص، من قادة «كفاية»: من أن مصر ليس بها حياة سياسية حقيقية، وكل ما فيها مجموعات أصدقاء وشلل ودكاكين سياسية، واستثنت الإخوان المسلمين من هذا الوصف!! وترى أن من بين الأصدقاء من هو مخلص، مثل عبد الحليم قنديل، ومن هم على شاكلته، وهم، بما يملكون من حرفية الصنعة، قادرون على طرح المبادرات، التي تجد استجابة واسعة، لكن منهم من يتراجع إيثارا للسلامة أمام وحشية حسني مبارك وولده وعائلته ومواليه!!.

والحل في الرجوع إلى الثوابت، وتوزيع المقار ومراكز النشاط والعمل الميداني على المناطق الشعبية والمدن الصغيرة والقرى، فالتجربة التاريخية تقول بأن العيش في وسط الناس يصنع التغيير، فمنهم خرجت المقاومة وصناع ثورات القاهرة الكبرى، الذين هزموا جيش نابليون، ومنهم من كان سندا لعرابي في الدلتا، ولولا الخيانة لكان التاريخ قد تغير وكتب بطريقة مغايرة، وهم الذين أيدوا عبد الناصر وخاض بهم ومعهم أشرس وأشرف المعارك، حتى في الهزيمة وقفوا معه وساعدوه على تجاوزها، ليس هذا في مصر بل في الوطن العربي وخارجه، أليس اعتماد حسن نصر الله على هؤلاء هو الذي جعل منه بطلا عربيا وإسلاميا وأمميا؟.. وهل مثّل شافيز ببعيد؟، أعاده الشعب بعد أن تآمرت عليه الإدارة الأمريكية وخلعته، والخلاصة أن جماعية القيادة والالتزام بالمرجعية التنظيمية والإدارية، وضمان النزاهة، مع قدرة عالية على التضحية، وإيمان راسخ بالحوار الديمقراطي، كل هذا كفيل بتصحيح ما جرى، ويعيد «كفاية» إلى ألقها وفعاليتها.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

حال العراق المحتل من مجازر فيتنام الى معاقبة الصحافة

هيفاء زنكنة *

■ تشير التقارير الصحافية الى ان اللجنة الخاصة التي تم تشكيلها برئاسة جيمس بيكر، وزير الخارجية السابق، ستبلغ الرئيس الامريكي بوش بان النصر الامريكي في العراق غير ممكن وان من الافضل اجراء تعديل منهجي في السياسة وفق مقترحات ثلاث. فحوى الاقتراحات قد يؤدي الى الانسحاب بطريقة تحفظ ماء الوجه للادارة الامريكية.

وكما يبدو من ردود فعل بوش الذي سارع الى اجراء مكالمة هاتفية مع نوري المالكي ليطمئنه بان القوات الامريكية باقية في العراق، بانه لن يصغي للنصيحة من فريق الحكماء العشرة.

هذه ليست المرة الاولى التي يطلب فيها رئيس امريكي المشورة لايجاد مخرج لاحتلال امريكا لبلد ما. ففي تموز/ يوليو من عام 1965 طلب الرئيس ليندون جونسون من مستشاريه النصيحة بصدد ابقاء القوات الامريكية في فيتنام وزيادة عددها لدعم حكومة فيتنام الجنوبية العميلة من جهة وتكثيف محاربة قوات الفيتكونغ المدافعة عن البلد ضد الاحتلال من جهة ثانية. كان وضع جونسون مشابها الى حد كبير لوضع بوش الان. فقد كان جونسون مستاء بشدة من عدم قدرة وكفاءة سياسيي فيتنام الجنوبية وعجزهم عن تحقيق النصر في القتال ضد ابناء بلدهم الفيتناميين الشماليين. وهو نفس حال بوش، اليوم، اذ يشعر بخيبة امل من القوات العراقية التي لاتقاتل ابناء جلدتها بالشكل والسرعة المطلوبة لحماية قوات الاحتلال الامريكية.. وقد عبر الجنرال كيسي، القائد الاعلى للقوات الامريكية في العراق، قبل أيام لصحيفة «الواشنطن تايمز»، عن مشاعر احباطه هو الآخر من اداء القوات العراقية العاجزة عن المبادرة القتالية.

كما كان جونسون مغتاظا من رفض فيتنام الشمالية التفاوض مع امريكا وفق شروطها. وهو حال بوش مع المقاومة العراقية المطالبة بالرحيل الفوري لقوات الاحتلال وعدم ربط البلاد بالاتفاقيات الاستعمارية طويلة الامد وترتيب التعويضات للشعب العراقي لما سببه الاحتلال من خراب بشري واقتصادي. ولم تكن فكرة ارسال عدد كبير من الجنود الامريكيين للقتال في الادغال، حسب تعبير جونسون، مستحبة لديه. وهو حال بوش غير المتحمس لارسال قوات اضافية الى العراق. لاسباب عديدة من بينها ازدياد تكلفة الحرب ماديا وبشريا ونقص عدد المتطوعين في الجيش الامريكي وعدم رغبته باعلان النفير العام، لئلا يثير نقمة الرأي العام الامريكي عليه وعلى حزبه. اذ ان غالبية الشعب الامريكي تقف بجانب رئيسها وحكومتها في سياسة شن الحرب، على أي بلد كان، مادامت الحرب ستجلب الغنائم و النصر السريع.

أيامها، طلب جونسون المشورة من افضل فريق لديه. فأخبره ماكنمارا، وزير الدفاع، بان الوضع في فيتنام الجنوبية، بعد زيارته لها، اسوأ من العام الماضي. كما ان العام الماضي كان أسوأ من سابقه. وحثه هو والبقية على ارسال المزيد من القوات محذرين من التخاذل امام المد الشيوعي وان تراجع امريكا في الحرب على الشيوعية (تم استبدال مفردة الشيوعية بالارهاب هذه الايام) سيعني ضعف مركز امريكا في العالم. الصوت النشاز بين المستشارين كان هو صوت جورج بول، نائب وزير الخارجية، الذي قال لجونسون بان هذه فرصة امريكا الافضل للتخلص من هزيمة محققة وان امريكا غير قادرة على تحقيق مشروعها في فيتنام ومن الافضل الانسحاب باسرع وقت ممكن.

لم يستمع جونسون للنصيحة بل ارسل القوات الاضافية وامتدت الحرب عشر سنوات منذ لحظة ادراك الادارة الامريكية بانها خاسرة لا محالة الى انسحاب آخر جندي امريكي وبالشكل المهين الذي رآه العالم عبر شاشات التلفزيون. وكانت النتيجة خسارة بشرية مروعة للجميع وخرابا عمرانيا واقتصاديا لامثيل له. حيث بلغ عدد القتلى من الفيتناميين ثلاثة ملايين وتم تهجير 15 مليون قسرا وهرب مليون مواطن حفاظا على حياتهم. كما بلغ عدد القتلى من الامريكيين 58 ألفا وأضعاف ذلك من الجرحى والمقعدين.

وهذا نفسه مايجري حاليا في العراق مع مراعاة النسبة السكانية. فقد بلغ عدد الضحايا من العراقيين ما يزيد على 654 ألفا منذ الغزو وحتى الان حسب تقرير معهد جون هوبكنز المنشور في مجلة لانسيت العلمية المرموقة. وهو تقرير لايتطرق اليه الشك علميا لانه تم وفق الطرق المثبتة في امريكا والمستخدمة في احصائيات الضحايا في مناطق الحروب والنزاعات.

وقد سارع المتحدث باسم حكومة المالكي، المقيم في قلعة المنطقة الخضراء، فور استماعه لاعتراض بوش على النتيجة وتشكيكه بصحتها الى تكرار ماقاله بوش متحدثا، بلهجة العالم، عن عدم صلاحية طريقة البحث. ولم يخطر في باله اطلاقا بان الضحايا هم من المواطنين، ابناء بلده، رجالا واطفالا ونساء، وان ثلاجات معاهد الطب العدلي والمستشفيات والشوارع، في جميع انحاء العراق، شاهدة حية على حجم الابادة التي يتعرض لها ابناء الشعب .

الابادة المتمثلة بالمجازر الجماعية حيث الجثث المعذبة، المحروقة، المقطعة، المصابة بالطلقات النارية مرمية قرب أكوام القمامة او في الانهار. حيث بات نهر دجلة، قلب بغداد الحبيبة، قلب المواطن العراقي النابض بتاريخه وحضارته وهويته الوطنية، يعول رعبا للمس الجثث المرمية فيه. صار نهر الحياة ينوح حزنا على موته.

تنظر اشجار النخيل السامقة فلا ترى في ظلالها اشجار البرتقال والنارنج والليمون بل جثثا مرمية لايام بلا احترام للموت. ينحني النخيل حزنا وألما مفتقدا عبير أزهار القداح العطرة ورؤية الفلاحين فتصدمه رائحة الموت المنتشرة في دقائق الهواء. لقد بات انحدار العراق في هاوية الموت سريعا يماثل انحدار الجثث مع مياه النهر. انه سيادة الموت والخراب الشامل في ظل الجهل المطلق لسياسيي الاحتلال بحيث لم تعد حتى الفتاوى المقدسة قادرة على وضع حد له.

ان الحكومة (المنتخبة الديمقراطية) عاجزة حتى عن حماية نفسها. منخورة تأكلها من الداخل، كما تأكل الأرضة الخشب، النزاعات على مقاولات المشاريع والخلافات الطائفية والعرقية وحصة المناصب. الفساد المادي مستشر بين مسؤولي الاحتلال من متعددي الجنسيات الى العراقيين وعلى رأسهم الامريكان. مليارات الدولارات نهبت باسم مشاريع وهمية وتهريبات وشراء سكراب اسلحة ودفع رواتب الحمايات الشخصية وحماية المنشآت والمرتزقة بانواعهم. يقول القاضي راضي الراضي، رئيس لجنة النزاهة، بان هناك، حسب علمه مبلغا قيمته أربعة مليارات ونصف مليار دولار قد اختفى من ميزانية الدولة. بينما بات حلم المواطن العراقي محصورا في حدود الحصول على الاساسيات من ماء وكهرباء وبنزين ووقود وحصة تموينية كاملة غير منقوصة الى حد دفع بعض الناس للترحم على سنوات الحصار. ماذا عن الأمان وسلامة الفرد وكرامته وعزة نفسه؟ أي مأساة؟

في الوقت نفسه يواصل اعضاء البرلمان (الديمقراطي المنتخب لتمثيل مصلحة ابناء الشعب افتراضا) المجتمعون في حضرة المنطقة المقدسة تفتيت البلاد وتبادل الاتهامات والكذب المفضوح بلا خجل. فلاعجب، اذن، ان تشن حملة تصفية منظمة للصحافيين واجهزة الصحافة لاسكات صوت كل من يتجرأ وينقل صورة ما يجري من مجازر وانتهاكات ومهاترات وتبديل مواقع حسب السعر الى ابناء الشعب والعالم الخارجي.

ففي الاسبوع الماضي قتل 11 صحافيا وعاملا في قناة الشعبية، وسبقه قتل 13 صحافيا في الاسابيع الاخيرة مع اختطاف عدد آخر. وتم القاء القبض على الصحافية كلشان البياتي، مراسلة صحيفة «الحياة»، ولم يتم اطلاق سراحها الا بعد قيام حملة اعلامية كبيرة في خارج العراق وبمساعدة عدد من الصحافيين المخاطرين بحياتهم داخله.

لقد أصبح حجب صورة الحقيقة عن العراقيين والعالم ضرورة ملحة بالنسبة الى سياسيي الاحتلال الى حد دفع مايسمى بمجلس النواب الى تكريس وقتهم لا لبحث سبل توفير الامان للمواطنين ولا لمطاردة مرتكبي المذابح بل لمناقشة كيفية انزال العقاب بقناة «الشرقية» وصحيفة «الزمان». فما الذي ارتكبته القناة والصحيفة من جرائم؟

هل هاجم اعلاميو القناة وصحافيو الجريدة بيت أحد المواطنين بالاسلحة والاحذية الثقيلة وقتلوا افراد عائلته واغتصبوا ابنته ثم حرقوها لاخفاء الجريمة النكراء كما فعل جنود الاحتلال بالصبية عبير قاسم وعائلتها؟ أم هل انتقل صحافيو الزمان واعلاميو القناة من بيت الى بيت وهم يرتكبون المجزرة تلو المجزرة انتقاما لمقتل زميل لهم كما يفعل الجنود الامريكيون عادة، بلا عقاب من الحكومة العراقية (ذات السيادة) ومجلس النواب (المنتخب)؟

لماذا يتمتع الجندي الامريكي المحتل بحرية ان يعتقل ويهين ويعذب ويغتصب ويقتل العراقي وهو يتمتع بالحصانة المطلقة من العقاب حسب القوانين العراقية بينما يتم بحث انزال العقاب بقناة تلفزيونية عراقية وصحيفة عراقية لانها قامت باداء عملها فقط، أي نقل الخبر وتحليله والتعليق عليه واتاحة الفرصة لوجهات النظر المختلفة وان تعارضت مع المشروع الحكومي؟ هل ينص مفهوم النظام الديمقراطي الجديد على قيام اجهزة الاعلام بنقل اصوات المسؤولين والنواب الحكوميين فحسب؟ ماهو، اذن، اختلافها عن النظم الدكتاتورية؟

وهل سيكرس البرلمان جلسته المقبلة لمناقشة كيفية معاقبة الرئيس الامريكي جورج بوش لانه حذر وبشدة من تقسيم العراق الى اقاليم ام ان بامكان رب العمل بوش ان يفعل ما يشاء وهو محق دائما؟

* كاتبة من العراق

صورة سورية

حكم البابا

■ مع نشر هذا المقال اليوم السبت أتمنى أن يكون الكاتب السوري ميشيل كيلو قد غدا طليقا بالفعل وليس على الورق فقط، فرغم الاعلان رسمياً وإعلامياً أول أمس عن إطلاق سراحه ليحاكم طليقاً بقرار قضائي، بقي ميشيل كيلو معتقلاً ليومين إضافيين بانتظار وصول مذكرة إخلاء سبيله إلى السجن، وهو سبب بقدر مايبدو واهياً في شكله الظاهر، إلاّ أنه يدل على مدى الاستهانه بكرامة البشر وحريتهم وأعمارهم اليوم في سورية، وأي تفسير لتأخر وصول مذكرة إخلاء سبيل ميشيل من قاعة المحكمة إلى السجن، سواء كان يعود إلى بيروقراطية إدارية، أو لدوافع ثأرية لا تبرر أن يبقى ميشيل كيلو معتقلاً حتى ولو لساعة إضافية بعد أن صدر قرار إطلاق سراحه.

أنا واحد من كثيرين فرحوا بإطلاق سراح ميشيل كيلو عند إعلانه، كما أني واحد من كثيرين أفسد عليهم بقاؤه في السجن هذه المدة الاضافية فرحهم ولهفتهم إلى تهنئته بالسلامة، وأنا أيضاً واحد من هؤلاء الكثر الذين لم يستطيعوا أن يفهموا سبب اعتقال ميشيل كيلو العبثي لخمسة أشهر، ثم إطلاق سراحه ليحاكم وهو حر، وكان بالامكان منذ البداية محاكمته دون الحاجة إلى سجنه، هذا إذا سلمنا جدلاً بأن حرية الرأي والتعبير تستدعي المحاكمة، فكل مافعله ميشيل كيلو ورفاقه الذين سجنوا بسبب توقيعهم على إعلان بيروت ـ دمشق..دمشق بيروت، الذي يطالب بتصحيح العلاقات السورية اللبنانية، لايخرج عن حقهم في التعبير عن آرائهم بشؤون بلدهم، وعلاقته مع بلد جار وشقيق.

قد يكون ميشيل كيلو وزملاؤه من موقعي الاعلان أصابوا أو أخطأوا، وهو أمر وارد وبشري، ولكن ردة فعل السلطة السورية كانت مغالية، وغير متناسبة مع الفعل نفسه، وأكثر القوانين بداهة تقول بأن حجم العقوبة يجب أن تتناسب مع الذنب (هذا إذا اعتبرنا مجرد التوقيع على بيان ذنباً). فهل كان الإعلان الذي أصدره مثقفو سورية ولبنان في اجتهاد منهم لتخفيف أجواء التشنج الرسمي بين البلدين يستدعي توتير أجواء سورية منذ صدور الإعلان وحتى اليوم، إلى الحد الذي جعل الأخبار الصادرة من سورية وعنها وحولها في هذه الفترة، مقتصرة على أخبار الاعتقالات والاستدعاءات الأمنية والمنع من السفر والتسريح من العمل؟ وألم يكن الأجدى بنخب السلطة السورية محاورة مثقفي بلدها ومناقشتهم، وإطلاعهم على خفايا الموضوع السوري اللبناني، إذا كانت هناك أسرار لدى السلطة وأخطار وجدتها في توقيعهم للإعلان، بدلاً من تخوينهم واعتقالهم، وغض النظر عن اختلاق عدد من صائدي المكافآت ومنتهزي الفرص سيناريوهات عن رحلات وهمية وسرية قاموا بها لعقد لقاءات تآمرية وقبض أموال مشبوهة، وبالتالي إشاعة حالة من الرعب الأمني في سورية، مما أساء جدياً لصورتها السياسية والاعلامية الخارجية؟

كسوري كنت أشعر بالاختناق صباح كل يوم منذ خمسة أشهر وحتى اليوم، وأنا أقرأ خبراً عن استدعاء أمني لناشط سياسي، أو يرن هاتفي ليسألني أي متصل عما إذا كانت هناك اعتقالات جديدة اليوم في سورية، أو أصادف شخصاً يستفسر مني عن معنى تهم وجهت لمعتقل ما مثل إضعاف الشعور القومي أو نشر أنباء كاذبة في من شأنها وهن نفسية الأمة أو محاولة تغيير الدستور بوسائل غير مشروعة، أو يبلغني أحد ما بأن موقعاً الكترونياً جديداً قد تم حجبه في دمشق، وطالما اعتقدت أن سورية بموقعها ودورها وحضارتها تستحق أخباراً وسمعةً لاتمر عبر البوابات الأمنية، ولا تنتمي إلى أخبار السجون والمساجين!

أعود إلى ميشيل كيلو الذي سيخرج اليوم أو غداً إلى حرية منقوصة، كون محاكمته لاتزال مستمرة حتى وهو طليق، وأتمنى أن تحكم المحكمة التي أصدرت قراراً بإطلاق سراحه الخميس الماضي ببراءته، وبتجريم الأجهزة التي اعتقلته بنفس التهم الموجهة إليه، لأنها المسؤولة فعلاً عن اضعاف الشعور القومي ووهن نفسية الأمة من خلال محاولتها إظهار صورة سورية في الخارج كسجن لا كدولة، وليس صعباً على أية محكمة لو تمتعت بالحياد إثبات هذه التهم بمراجعة سريعة لأخبار سورية في الإعلام العربي والعالمي خلال الأشهر الخمسة الماضية!

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت
وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي
للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN